وعاء الرسول ووعاء الآلهة

نظرات في فكر الاسلامويين

بكر أبو بكر

سؤل جلال الدين الرومي من هو الأعظم برأيك: "النبي محمد أم الصوفي أبو يزيد البسطامي؟" فقلت[1]: ما هذا السؤال؟ كيف يمكنك أن تقارن بين نبينا العظيم عليه الصلاة والسلام، خاتم النبيين والمرسلين، وبين صوفي؟

قال: ألم يقل النبي: يا رب اغفر لي عجزي عن معرفتك حق المعرفة، في حين قال البسطامي: طوبى لي، فأنا أحمل حب الله ومعرفته داخل عباءتي؟

ثم قلت: حب الله محيط لا نهاية له، ويحاول البشر أن ينهلوا منه أكبر قدر من الماء. لكن في نهاية المطاف، يعتمد مقدار الماء الذي يحصل عليه كل منا على حجم الكوب الذي يستخدمه. ففي حين يوجد لدى البعض براميل، ولدى البعض دلاء، فإن لدى البعض طاسات فقط." "كان وعاء البسطامي صغيرا بعض الشيء، وقد روى عطشه بعد أن نهل جرعة، وكان سعيدا بالمرحلة التي بلغها.

أما النبي،فقد اختاره الله ولديه كوب أكبر بكثير لكي يملأه. لذلك سأله الله في القرآن: ألم نشرح لك صدرك؟ وهكذا شرح صدره، وكان كوبه ضخما، كان عطشا على عطش بالنسبة له. ولا عجب أنه قال:"إننا لا نعرفك كما

[1] المسؤول أي الموجه له السؤال هو جلال الدين الرومي والسائل هو شمس تبريز معلمه، وهما من كبار المتصوفة في الإسلام، وجعلنا الصيغة، قال وقلت مباشرة للتمييز بينهما.

ينبغي لنا أن نعرفك, مع أنه من المؤكد أنه يعرفه كما لا يعرفه شخص آخر"-في أول لقاء لجلال الدين الرومي مع شمس تبريز في كتاب قواعد العشق الأربعون. [2]

تظهر وتتطور "الرسالة-الفكرة" ضمن عملية فكرية تتضمن في البدء صناعة أوإنشاء (أو تنزيل) عبر التدبّر والنظر والتأمل، يتلوها قيام صاحبها أومُريدوه بحملها منارة للناس ، وهي الممثلة بحسب الفهم الإيماني اللاحق لما يصبح لدي المؤمنين (الدعوة/الفكرة/الرسالة الاجتماعية أو الإصلاحية أو الثورية)،.

وقد تكون "الرسالة" ربانية كما في الأديان السماوية، وفي الحالتين فإن انتقال الرسالة من حالتها الصافية الأولى إلى أن تتحول إلى دعوة أو فكرانية (منظومة أفكار= أيديولوجية) غالبا ما يتم ذلك بعد وفاة الرسول أو المبشر أوالداعية الأول.

الدعوة تتحول بالزمن إلى فكرانية (أيديولوجية)

الرسالة المسماة الوضعية (غير السماوية) أو الدعوة أو الفكرة الأولى هي كتلك التي نطلق عليها اسم البوذية أوالسيخية أوالمانوية أو الزرادشتية أو غيرها من الأديان التي نعتبرها كمؤمنين أو مسلمين غير سماوية، وتُضم لهذه الرسالة التي حملها أشخاص لم يجعلوا لأنفسهم صلة مع الخالق سبحانه وتعالى مثل الفكر "الماركسي – اللينيني" ومثل الفكر الرأسمالي – الاستعماري...الخ ، وكلها أفكارأولى (رسائل) تحولت مع الزمن من رسالة صافية، كما رسالة الأديان وخاصة الإسلام الحنيف -أو رسالة يعتنقها صاحبها في حياته يراها تمثل حقيقة ما توصل إليها ويسعى لإلزام الآخرين فيها- تحولت إلى منظومة أفكار وتصورات أو أكثر بحسب المفكرِنين (المؤدلِجين) لها.

[2] مع بعض التعديل بالمعنى الذي أراده البسطامي، ونقلا عن كتاب (قواعد العشق الأربعون)

غالبا ما تكون هناك لذات الفكرة الأولى/الرسالة أكثر من منظومة من الأفكار القطعية المؤبدة وهي قطعية مؤبدة لأنها لا تخضع لدى هؤلاء المؤمنين بها إلا من رحم ربي للجدل أو النقد وبمعنى آخر يعتقد معتنقها أنه لا يأتيها الباطل لا من أمامها ولا من خلفها.

ببساطة نقول أن الأيديولوجية (الفكرانية، منظومة الأفكار والتصورات بقوة العقيدة) تنشأ في فترة زمنية لاحقة على الدعوة/الفكرة الأولى/الرسالة، وفي مواقف قد تكون مختلفة وبسياقات متغيرة إلا أنها تصبح مُلزمة كحقيقة ثابتة تأبى النظر والنقد من قِبل مؤمنين بها.

إن الرسالة مرحلة أولى، وعندما "تؤدلج" وهذه مرحلة ثانية تعبر حقيقة عن "فهم" باتجاه ما -ولا تعبر عن مطلق الحقيقة أو الأصل كله- ويتم تغليفها كتفاسير، وطريقة نظر بقداسة تُسقِط المضمون القدسي من ذات الرسالة إلى ذات التفسير أوالتأويل اللاحق للنزول أو الإنشاء ما يصبح أي هذا التفسير أو "الفهم" هو الأوحد الذي لا يقبل وجود غيره بجواره وهو الحقيقة وكامل المعرفة وما يتلوه أن يُعاد إسقاط القداسة في المرحلة الثالثة على ذات الأشخاص وما يقولونه.

اختلاف طبيعة الفكرة الأولى عن اللاحقة

إن صناعة الفكرانية (الايديولوجية) يستدعي إنتاج جيل مؤمن بها، أي بمجموعة (التصورات) و(المبادئ) و(القطعيات) والثوابت المستمدة المستنتجة من (الرسالة/الفكرة/الدعوة) الأصلية، والتي يقول الداعون لها أنها تمثل المصدر الأول إذ أنها هي هي، أي تمثل النص والفكرة الأولى، وتمثل الحقيقة نفسها ، بالطبع كما فهمها مؤدلجوها والمريدون ثم قولبوها.

تماما كما يعبر كل تيار إسلاموي اليوم عن (تياره / جماعته / تنظيمه / حزبه) أنه يمثل حقيقة الإسلام ، أوكما قال حسن البنا (كل فكر الإخوان من الإسلام) أو بمثل ما قال حسن البنا أيضا حصريا وبشكل قطعي أن ("الإخوان المسلمين" هم الغرباء عند فساد الناس، وأنهم دعاة الإسلام وحملة القرآن وصلة الأرض بالسماء، وورثة محمد -صلى الله عليه وسلم- وخلفاء صحابته من بعده.)

اليقين وثوب القداسة والشمولية

إن مثل هذا الفكر المؤدلج يستدعي إلباس الرأي (والرأي فكر أنساني نسبي يتبلور بالمواقف والقيم والنظر وهو قابل للتغير والتجدد) أوإلباس الجماعة صاحبة هذا الفكر لَبوس (ثوب) القداسة والتنزيه ما يجعل من التصادم مع الآخر واقعا لا محالة لا بل ويُحض عليه لأنه في المنظور الإسلاموي ، ولكثير من الأيديويوجيات يقوم الشخص (بالجهاد) أو (بالنهي عن المنكر) أو (بقتال الكفار) أو بتجهيل المجتمع أو بمقاومة المرتدين أو أهل البدع ما هو فعل خير.

تكون المعادلة أنني من أهل الحق استنادا للرسالة أو القرآن بالنسبة للاسلامويين وبما أنني من أهل القرآن أو القرآن مرجعيتي -وكأن امة المسلمين مرجعيتها شيء آخر؟- فأنا أو حزبي أقول الحق الذي لا شك فيه والآخر يصبح من أهل الشيطان أو أهل النفاق وتأسيسا على ذلك فأنا في الجنة وهو في النار وا أقوله وهو الأهم حق دوما والآخر باطل دوما ويتمدد الإسقاط ليصبح متصلا بتجويز التكفير للآخر وبالتالي قتله.

المعادلة تقول: الرسالة مقدسة=أنا حامل الرسالة إذن فما أقوله مقدس=غيري باطل=أنا والرسالة واحد=الآخر شيطان=العلاقة بين فسطاطين=الخير يؤدي للجنة والباطل إلى النار=أنا الخير وفي الجنة وهم بالنار=نحن المؤمنين وولاءنا لله وبراؤنا من الآخر وهو الذي يتولى الكفار فهو كافر=القتل=ما على الجمهور إلا الانصياع لهذه المعادلة ففي يدي سيف الحق أنا فقط

الأيديولوجية تُصنع وتُجدل في عملية طويلة، يتم بمقتضاها إحداث تشابك وثيق بين المطلق اليقيني (الحقيقة المطلقة الحصرية بالجماعة أو الشخص) مع الشمولية التي تعني أن هذه الحقيقة المطلقة الحصرية تشمل وتمتد وتعم وتطال كل مناحي الحياة المتغيرة بطبعها، فتصبغ طريقة النظر للنسبي في أمور الحياة بالمطلق غير قابلة للتجاوب مع المتغيرات.

يصبح الشخص أو التنظيم بعد زمن، ومع نشوء أحوال جديدة في تناقض واضح بين الفكر المطلق اليقيني الذي يحمله ويستخدمه كمرجعية ومنهج للحكم والنظر في كل شيء، قلنا يصبح في تناقض مع ماذا؟ مع المتغيرات الحياتية وذلك إن ظل التفكير ومنهج الحكم لا يتطور ولا يتغير لارتهانه للفكرة القطعية المركزية.

من المتوجب بالنسبة للمؤمن-المتطرف بالفهم المقتصر على فهمه أو حُكمه أن تكون حياته المعاشة أي الحياة الواقعية، أو تلك الافتراضية (التي ينعزل بها الشخص مع ذاته أو فيها أو في جماعته) حياة خاضعة لمطلقية الأفكار أو شاملة لكل المحيط حوله، حسب الفكر المطلق الشمولي الأيديولوجي الذي يحمله، ومن هنا يأتي الحضّ على الدعوة عند التيارات الاسلاموية وغيرها من الأفهام المفكرنة (=المؤدلجة) على [تحصين] الذات ولجماعة والسعي لنشر [المطلق] الذي هو فقط من يمثله، وتحييد الرافضين له، لأن المحيط يجب أن يكون [شاملا] بما يتضمنه من أفكار وحيدة تمثل (الطريق القويم) أو (الحق المطلق) مقابل الباطل وهو كل ما يعاديها.

المواصفات الثلاثة للفكرة اليقينية

إن الفكرة النابتة في الوعي الأيديولوجي أي ضمن عقائدية منظومة الأفكار التي يؤمن الشخص (أو التنظيم) بها بعمق، والتي تشكلت لاحقا على صدور الفكرة الأولى أو الرسالة، إن كان لها أن تنقسم فإنها تأخذ مستويين المستوى الأول هو المستوى الفكراني المطلق اليقيني، والآخر هو مستوى الفكرة النسبية.

في منهج التفكير المطلق (الفكراني أو الأيديولوجي) 3 مواصفات هي:

1- أنه فكر قطعي بات بمعنى أن الآراء أو الأفكار الواردة فيه أ-ثابتة لا تتغير وب-مطلقة غير نسبية وج-مغلقة على ذاتها ود-مقدسة لا تحتمل العقل[3] وهـ-مغلّفة بالحُرمة لا تحتمل النقض أو المس بها، (والفكر القطعي كصفار البيضة ممثلا للفكرة الأولى وكبياضها ممثلا للفكرة المؤدلجة، فكأنهما معا واحد وبالمواصفات الخمسة).

2- هي أفكار مكتفية بذاتها، بمعنى إغلاق منهج التفكير عما سواها كليا فلا شأن لنا بما سواها ، لأن لها أي للأيديولوجية رأي أوتصورات ناشئة عنها متعلقة بالمواضيع المختلفة لا تتغير مع المتغيرات،بل وتأخذ منهجا وأسلوبا ومصطلحات وشعارات متمايزة عما سواها من فكرانيات.(والاكتفاء الذاتي هنا كما هو تكامل البياض والصفار بالغلاف الرقيق تحت قشرة البيضة الصلبة).

---

[3] قال ابن تيمية : "يقال إذا تعارض العقل والنقل وجب تقديم النقل؛ لأن الجمع بين المدلولين جمع بين النقيضين، ورفعهما رفع للنقيضين، وتقديم العقل ممتنع؛ لأن العقل قد دلّ على صحة السمع ووجوب قبول ما أخبر به الرسول (ص)، [...]". بينما يقول الغمام أبوحامد الغزالي في إحياء علوم الدين " لا غنى بالعقل عن السماع، ولا غنى بالسماع عن العقل. فالداعي إلى محض التقليد مع عزل العقل بالكلية جاهل، والمكتفي بمجرد العقل عن أنوار القرآن والسنة مغرور. فإياك أن تكون من أحد الفريقين، وكن جامعا بين الأصليين...) (الإحياء، 3/19. ومثله في: الاقتصاد، ص 3- 4)

3- وهي أفكار طاردة للآخر، لأنها مستبدة ولأنها محمية ومحصّنة بصلابة فلا تقبل الآخر بل تطرده من نعيمها، فما سواها زبَد، حيث تعتبر معتنقي من سواها ضمن فسطاط (معسكر) الباطل فهو أي الآخر مرفوض كليا، والرفض مؤسس للمفاصلة والعداء والحرب والتكفير والقتل.(هو كالغلاف الصلب الذي يحمي البيضة من الكسر فيمنع الأنواء عن الإضرار بها، إذ يمنع الاختلاط قطعيا)

الفكرة الإيديولوجية هي مطلق وذات طبيعة شمولية لا تقبل الرأي من خارجها إلا ما توافق مع قطعيات فكرتها الأساسية، لذا لا تفهم الخلاف حتى لو كان بالرأي النسبي والنظرة المتغيرة إلا في إطار مفردات التفكير الايديولوجي أو منهج الفهم أو التفسير النابع منها، وعليه يأتي الحكم ضمن معادلة ثنائية التضاد: الأبيض والأسود فقط أي أما خير أو شر باطل أو حق، فسطاط الحق والخير أو فسطاط (معسكر) الباطل والشر.

إن موقع الخلاف داخل عقل المشبع بالأفكار الأيديولوجية المتطرفة (نموذجهم اليوم الاسلامويين المتطرفين في منطقتنا، وأمثالهم من متطرفي المسيحانية في كينيا وامريكا، وعند متطرفي اليهود، وفي أوربا، وعند المتطرفين العلمانيين) هو خلاف أن أجيز له أن يكون فهو لا يكون إلا في حده الأدنى وفيما لا يدخل مطلقا بالقطعيات المتخصص بها فقط الفقهاء أو العلماء عندهم ،وعليه يصبح عقل التابع مشبعا بالمنطق الفكراني الايديولوجي فقط من حيث هو (قطعي ومكتفي بذاته مطلق وطارد للآخر) ولا يستطيع أن يتقبل الخلاف مع الآخر.

الخلاف بين اليقيني والموقفي

إن عملية تبني الفكرة أو الإيديولوجية أو الدعوة لها في المنظور المنفتح برأينا مستويين كما أشرنا بشكل آخر: الأول هو المستوى القطعي الثابت لدى كل شخص أو جماعة، والمستوى الثاني هو المستوى الظني عنده.

حيث الأول أي المستوى الثابت يشكل حصيلة ما يدين به الشخص مع ذاته (مطلق إيمانه بما يؤمن من عقائد أو أفكار) أوجماعته، ومثل هذا الاعتقاد أو الفكر هو ما يجب ألا يُلزم بالضرورة الأشخاص أوالجماعات الأخرى.

الفكر أو الإيمان -مهما كان- يجب أن يُلزم صاحبه بأخلاق، وقيم ومنها إن يتحلى بالفهم الصحيح لطبيعة العلاقات بين الأفراد والجماعات المختلفة في داخل المجتمع أو خارجه الذي يقول أن القانون الحاكم في العلاقة بين الأفراد أوالجماعات هو قانون الحرية من حيث هي أصل، والتعارف لا الاستبداد والتباغض وتقبل الآخر لا الإنكار للآخر.

ومن جهة ثانية يجب النظر للخلاف في المواقف (ما يمكن أن نسميه الخلاف الموقفي) (الموقف: هو رأي أو جهة نظر أو تصرف يحدث أو يتكون نتيجة تفاعل مع حدث ما في زمن ومكان) دوما على انه خلاف طبيعي بل ومستحب ودلالة المرونة والتنوع وضمن معادلة أن النقد يشدّ باتجاه تحقيق التطور والإبداع ، وليس النظر إلى هذا الخلاف في المواقف على أنه ضمن مستوى (خلاف يقيني) ، بمعنى لا يجب أن يتم الحكم على خلاف الموقف (النسبي والمتغير والمستوعب للآخر) بنفس منطق التعامل مع الخلاف الإيديولوجي/اليقيني.

أنا وإيماني وأنت

لدى الإنسان مستوى من الإيمانيات والقطعيات واليقينيات تشكل بالنسبة له المرجعية الثقافية أو الدينية أو الحضارية ، وغيره له مرجعيات يقينية أخرى، وهو في ظل المجتمعات الحديثة (المنفتحة) يستطيع أن يعيش من حيث الإيمان والممارسة والحُكم على الأمور بما يتوافق مع هذه الإيمانيات، دون أن يمس حرية الآخرين، ولا يضيره أبدا أن يخالفه الأخر من الجذور في هذه القطعيات، فلا يكفره أو يجهّله أو يسعى لإلغائه.[4]

يقول د.محمد شحرور أن الأولوية الأولى هي أن (الإسلام والإيمان بالله واليوم الآخر والعمل الصالح (المُثُل العليا) هي التي ننطلق منها ونرتكز على بنودها ووصاياها في التعامل مع كل أهل الأرض، لأن معظمهم مسلمون، ولأن هذه المثل والقيم مقبولة عندهم لا يرفضها أحد وعلينا ترسيخها في الدولة والمجتمع، وتوضيح أن الإيمان بالرسل وإقامة شعائر الإيمان من صلاة وزكاة وصوم وحج، لا يكفي بل ولا يكون بدون هذه المُثُل والقيم أو بعيداً عنها. وعلينا أيضاً تعميق فهم الناس لمصطلح الإسلام والمسلمين، وتوضيح أنهم ليسوا أتباع النبي العربي محمد (ص) حصراً، بل هم جميع من أشار إليهم تعالى بقوله "لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ" (البقرة : 111-112) وأخيراً علينا أن نؤكد في كل أدبياتنا ومجالسنا على أن العمل الصالح الحسن ركن من أركان الإسلام وأن كل أهل الأرض من المسلمين مطالبون به، وأنه وحده معيار الجرح والتعديل وميزان التقييم بين الناس، وتوضيح أن أبواب العمل الصالح متعددة ومفتوحة على مصراعيها ليوم القيامة، وأن الإبداع والتفنن فيها مطلوب ومأجور، لأن كل ما ينفع الخلق يدخل تحت عنوانها على مدى العصور والدهور.)[5]

---

[4] يقول عبدالرحمان الكواكبي (دعونا ندبر حياتنا الدنيا و نجعل الأديان تحكم في الأخرى فقط دعونا نجتمع على كلمات سواء إلا وهي فلتحيى الأمة ...فليحيى الوطن....فلنحيي طلقاء أعزاء).

[5] ويضيف محمد شحرور قائلا (أن شعائر الإيمان (الصلاة والزكاة والصوم والحج) خاصة بالمؤمنين من أتباع محمد (ص) ولا معنى لها بعيداً عن الإسلام لله والعمل الصالح، وأنها شعائر خاصة لا تحمل الطابع العالمي ولا الطابع السياسي، وأنها تكاليف شعائرية لا إبداع فيها ولا تفنن، بل لا يجوز أن يكون فيها، لأن الإبداع فيها بدعة، سواء بالزيادة أو بالنقص، فالإبداع في الإسلام حسن محمود، والابتداع في الإيمان قبيح

ونعود لنقول: أن الإنسان العادي في المستوى الثاني من الخلاف (الخلاف الموقفي لا الخلاف اليقيني) في داخل المجتمع أي ما نطلق عليه الخلاف السياسي أوالمجتمعي أوالخلاف في وجهة النظر في أي شأن علمي أوتراثي أو فكري أوتاريخي أو ديني ...الخ (الخلاف في الموقف أو الرأي) هو يدرك معنى حريته وحرية الآخر رغم ايمانياته الملزمة له (والتي هو معني بالتبشير بها وفق مبدأ "أدعُ إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن") كما يدرك معنى تقبّل المختلف وتركه.

إن إدراك معنى أن تكون المواقف ذات طبيعة نسبية ومتغيرة واستيعابية هو الإدراك الذي يؤسس للتفاهم، وهنا الفرق بين منهجي التفكير ذاك المنفتح وذاك العقلي المغلق، فالعقل القطعي يحيل أي خلاف في مستوى الموقف المتغير للمرجعية القطعية داخل رأسه دوما فلا يتقبله، حتى لو لم يكن له علاقة بقطعياته أبدا، وعليه هو يحكم على الخلاف في الرأس ليس من زاوية تحري الصواب أولنبقى مختلفين متحابين وإنما من زاوية اللونين فقط (الفسطاطين) حيث ما يتوافق مع منظومته الفكرية القطعية (هي مستمدة إما من قناعاته أو من ما يقول مرشدة الروحي أو أميره) هو فقط الصواب وما سواه شر أو كفر.

نختم ونكرر: ماذا يقول الإسلاموي المستغل للدين؟يقول: أنا من أهل القرآن إذا أنا (حصريا) على حق مطلق، ولذا الآخر من أهل الباطل، وعليه ولائي أنا لله، وهم للشيطان، ما يعني أنني أنا بالجنة وهم في النار ، هكذا "يفهم" القرآن فيعتبر "فهمه" الانساني للقرآن هو "الفهم" الأوحد، لذا يعكس قداسة القرآن على حزبه وعلى ذاته فيما يقول ويفعل حتى لو فسد، ويضلل بذلك أمة المسلمين ويرعبهم كل الرعب من مخالفته.

نظرية الوهم المقدس

مذموم.)

((صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "أخوف ما أخاف على أمتي الأئمة المضلون". [6]والمراد بالأئمة «المضلون» هم المتبوعون من الأمراء والعلماء فَضَلَالُ هؤلاء ضلال لأمم وراءهم، وقد ذكر الله تعالى في كتابه حال التابع والمتبوع يوم القيامة وكيف يتبرأ بعضهم من بعض ويلعن بعضهم بعضاً وما هذا الذي يذكره الله تعالى إلا تحذيراً لنا من أن نكون أئمة في الضلال ولكي نَحذر من اتباع أئمة الضلال فيضلونا عن الصراط المستقيم قال الله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) (سورة التوبة 34).

فإن قال قائل هذا في أهل الكتاب. قلنا له نعم وهذه الأمة منها من سيتبع سنن أهل الكتاب كما في الحديث «لتركبن سنن من كان قبلكم» رواه أحمد والترمذي وغيرهما))[7]

وإن انتقلنا لفكرة لصيقة بما سبق وهي نظرية ما يمكن أن نسميها "الوهم المقدس" التي تستخدمها الشخصيات الاستبدادية في التنظيمات الفكرانية (=الايديولوجية) عامة ومنها الاسلاموية فيمكننا أن نسطّر التالي

يتم [بيع] الفكرة الناشئة عن الفكرة الأصلية على أنها هي هي، ذات واحدة، وهذا البيع هو خلط متعمد، إذ أن "الفهم" الناشئ الفهم المستمد الفهم والمعبر عن الفكرة الأصلية ليس بالضرورة هو الفهم الأوحد للفكرة ، عدا عن أنه ليس الفكرة، وليس بالضرورة أنه -إن كان الفهم الاوحد-الصحيح، وأن صح لا يعني عدم إمكانية تعدد الأفهام.

إذن يتم [اسقاط] "المفهوم" الناشئ (التفسير أو الفهم) على الناس أنه ذات الأصل لا فرق بينهما، ويتم تحقيق الربط بإيراد الأفكار الأصلية (وفي الشأن الديني الإسلامي يتم إيراد نصوص القرآن = الأفكار الأصلية المقدسة) مع الأفكار الناشئة بالربط بينها وجلب المقارنات الايجابية لتظهر هذه من تلك وهذه تؤدي لتلك.

---

[6] رواه ابن حبان وصححه الالباني صحيح الجامع (1551) السلسلة الصحيحه (1582)

[7] الشيخ سالم بن سعد الطويل من على موقعه في الشابكة.

نتيجة البيع بالخلط المقصود عبر الإسقاط الواهم، بروز "صناعة الواحد" بمعنى أن كل ما يقال واحد لا فرق، أي لا فرق بين الإسلام (مثلا) وبين (فهم) الإسلام-كما يفهمه-، وبالتالي لا يفرق ما سبق عن (جماعة فهم الإسلام) ثم لا يفرق ما سبق عن (أفعال جماعة فهم الإسلام) فيتقدس الأخير أي الجماعة والأفعال كما تم تقديس الأول.

الأول هو ذات الخامس

الخطورة هي أن نكرر بمنطق [الربط] بما هو "وهم" برأينا، أو ايهام مقصود إذ لا ربط بالحقيقة، لكنها خيوط خمسة متسلسلة تأخذ من بعضها وليست نفس الشيء، حيث يوهمون هم الناس أن الأول بما يحويه من مطلق وتقديس وثبات وتنزيه عند الكافة يؤدي للتالي تلقائيا ، وهكذا لما يليه حتى الخامس، كرسالة تسقط في ذهن المتلقي الواثق بالمرسل برحابة، بمعنى لأنه يتم تعمد الخلط من قبل المرسِل ما نعيده كمعادلة مرة أخرى كالتالي:

1. (الإسلام = مقدس).
2. (فهم الإسلام) وهو فهم محدد
3. وبالتالي (حزب فهم الإسلام)
4. ثم (أصحاب حزب فهم الإسلام)
5. ثم (أفعال أصحاب حزب فهم الإسلام).

تسقط هذه المعادلة وهذا الفهم بردا وسلاما، وفق السلسة الخماسية المشبعة بالطاعة والولاء وعدم النقاش والتقديس للقادة لتتنقل القداسة الأولى ضمن السلسلة حتى الأخيرة كموج نوراني مريح فتغلفها جميعا، وهنا الخطورة ، فيتحول [الوهم] بالعلاقات بين الخمسة المختلفة إلى [إيمان] وثقة مطلقة.

أنظر لما يقوله حسن البنا في مقدمة "رسالة التعاليم" والأصول العشرين "للاخوان" نصا: (فهذه رسالتي إلى الإخوان المجاهدين من الإخوان المسلمين الذين آمنوا بسمو دعوتهم ، وقدسية فكرتهم ، وعزموا صادقين على أن يعيشوا بها ، أو

يموتوا في سبيلها) لقد خص الاخوان بالحديث وهذا شأنه لكنه قدّس دعوته بافتراضه أنها كلها من الاسلام كما قال في سياقات أخرى، وافترض أن الفكرة أو الفهم الاخواني هو حياتهم لا الإسلام مثلا، ويكمل ليقول (أيها الإخوان الصادقون أركان بيعتنا عشر فاحفظوها: الفهم و الإخلاص و العمل و الجهاد و التضحية و الطاعة والثبات و التجرد و الأخوَّة و الثقة).

مضيفا بتحديد قطعي ومغلق حول (الفهم) ليقول (إنما أريد بالفهم : أن توقن بأن فكرتنا إسلامية صميمة و أن تفهم الإسلام كما نفهمه ، في حدود هذه الأصول العشرين الموجزة كل الإيجاز.)[8]

أي أنه ويتطور بالعرض ليعتبر أن (الفهم) الذي يقول به هو (الفهم)[9] الوحيد المطلوب وهو أول شروط بيعته العشرة ، والفهم للإسلام "كما نفهمه" نصا، و"بحدود" الأصول العشرين، ما يعني إغلاقا كليا للفكرة وتقييد للفهم في حدود العشرين نقطة، ورفض الانطلاق والتفكر إلا فيها ومن خلالها في رد لمقولات كل مفكري ومجتهدي المسلمين الذين آمنوا بالتعددية في الاجتهاد ومن هنا يصبح الأول أي النص المقدس هو الخامس، أي مقولات وأفعال من يظنون أنهم يمثلون الإسلام حكرا بجماعتهم وشخوصهم وأقوالهم وعبر أفهامهم.

في ذات السياق ينظّرون لما يحملونه من عقيدة على أنه الصواب "الأوحد" ، وبالتالي ما سواه شر وشيطان وباطل فيقع التنزيه والتضييق للفكرة في بوتقة واحدة رغم رحابة الإسلام التي أسست لقدرته على الانتشار والاتساع.

يحاول المؤدلجون أيضا أن يجعلوا من صلاح العقيدة أو الإيمان بدلالة العبادة، دلالة على صلاح الخلق، أو أن يجعلوا الإيمان يؤدي حكما إلى صلاح الرأي، وهي علاقات ثلاثة (أي العقيدة والسلوك والرأي) ليست بالضرورة تؤدي لبعضها البعض وفي الخوارج لنا خير مثال.

---

[8] http://www.daawa-info.net/books1.php?id=5125&bn=195&page=17

[9] ينقل الباحث أحمد أشقر عن الامام محمد بن عبدالوهاب قوله (من دخل في دعوتنا فله ما لنا وعليه ما علينا ومن لم يدخل معنا فهو كافر حلال الدم والمال)! وذلك في مقال له بعنوان ابن رشد بديلا عن ابن تيمية.

مثل هؤلاء في التيار القطبي في الإخوان المسلمين تحديدا كمثال استبدوا بـوعي الناس وزيّفوا وعي الناس فأوهموهم أن [دعوة] الإخوان و [فهم الإخوان] للإسلام هـو الإسلام ذاته، ولا دعوة أو فهم أو حق غيره.

يقول الشيخ عبدالرحمان الكواكبي في كتابه الثمين منذ ما يزيد عن 100 عام عن الاستبداد الديني السياسي أنه يصل بالناس (لنقطة يلتبس عليهم "فيها" الفرق بين الإله المعبود بحق وبين المستبد المطاع بالقهر، فيختلطان في مضايق أذهانهم من حيث التشابه في استحقاق مزيد التعظيم و الرفعة عن السؤال وعدم المؤاخذة على الافعال...)

ويضيف (وبعبارة أخرى يجد العوام معبودهم وجبّارهم مشتركين في كثير من الحالات و الأسماء والصفات) (وبناء عليه يعظمون الجبابرة تعظيمهم لله ، ويزيدون تعظيمهم على التعظيم لله لانه حليم كريم، ولأن عذابه آجل غائب)

ويكمل في أطروحته المبكرة ضد المستبد، الذي يتجلى اليوم في الدعوات الحزبية الضيقة الاستغلالية مطلقة الفكرة والأشخاص (ما من مستبد سياسي إلى الآن إلا و يتخذ له صفة قدسية يشارك بها الله ، أو يعطيه مقام ذي علاقة مع الله ، و لا أقل من أن يتخذ بطانة من خدمه الذين يعينونه على ظلم الناس باسم الله)

الفهم للإسلام غير قابل للاحتواء، في [فهم] أو تفسير أو مسـار واحـد كمـا أراده حسن البنا في التعاليم العشرين للإخوان المسلمين-وإن أحسن النية – وأصّله قطـب ثـم مصطفى مشهور، وإلا لما كان [اختلاف أمتي رحمة] كما قال عليه السلام والاختلاف هنا في [الأفهام=جمع فهم] وليس العقائد و الأصول.

يوهمك الإسـلاموي أنـه صـاحب الـرأي الصـحيح حصـراً، ضـمن معـادلته فـي استحضار الاستبداد بالرأي و إسقاط الوهم المقدس على الآخـر المسـتقبِل،[10] ليفـترض

[10] (اشار المراقب العام السابق لحركة الإخوان المسلمين في الأردن سالم الفلاحات ان عمر الاسلام حوالي 1450 عاما، وهو ليس ملكا لأحد للتحدث عنـه، والمتحكم منـذ عقـود هـو العقليـة الليبراليـة الـتي أنتجـت المتطرفين والمتعصبين الذين يتحدثون باسم الإسلام أو المسيحية، داعيا على جميع الديانات السماوية إدانـة

أن صحة عقيدته، المعبر عنها بعباداته، أو إيمانه الروحي أدت به لصلاح قيمه وأخلاقه (ما لا يتم اختباره حقيقة إلا بالمعاملة كما حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه) وعليه فإن رأيه هو الصالح.

وفي هذا الشأن كان أول من فَصَل بين السلوك أكان فعلا أو قولا وبين الفكرة (العقيدة الأساسية) فترة الصراع السياسي العنيف كان الصحابي على بن أبي طالب رضي الله عنه في تعامله مع الخوارج.

وفي ذات السياق التقديسي ينشغل العقل السلفي الماضوي التقليدي بالتقليد الكلي و"النقل" تاركا العقل في منطقة الإخفاء او النسيان، ومقدما النص من القرآن الكريم او السنة النبوية أي كان على العقل كما يقرر ابن تيمية وفقهاء السلفية عامة بينما كان رأي الغزالي واضحا وهاما: "إن العقل بطبيعته عاجز عن إدراك حقائق الأمور في الإلهيات، وليس هذا ميدانه، بل ميدانه هو العالم المشاهد، والسبيل في فهمه ومعرفته هو التجربة والملاحظة، لا العقل بمجرده."[11]

النموذج الإخواني و"تنظيم العشرات"

ولنضع بعض الوقائع في إطار ما نتحدث عنه فنموذج الإخوان المسلمين كتنظيم فكراني عقدي (أيديولوجي) نموذج قابل للتعاطي معه حيث حوى تيارات منها التقليدي الدعوي ومنها القطبي المتشدد (مدرسة العشرات) ومنها المجدد الذي خرج بغالبه إذ لم يستقم للمتخشبين بالتنظيم أن يفهموا التجدد ولم يستطيعوا أن يقرأوا تاريخية الدعوة

الإرهاب بجميع اشكاله وصوره. ولا شك فان الدين كمفهوم هو مجموعة من القيم والمبادئالتي يتم تطبيقها من جانبين؛ الاول الاجتهاد البشري المعرض للنقد والتغيير والاستدراك حسب القدرة على تطبيق المبدأ.والاخر تاريخي والمقصود هنا ان تغير العصور يجب ان تتغير معها الاساليب والطرق، وما يحدث واقعيا على الساحة العربية مخالف تماما لما يدعو إليه الإسلام الذي هو براء منه.) تقرير حول "مؤتمر المراة وربيع العرب" عام 2014 المنعقد في عمّان بمشاركة 100 قيادية نسوية.

[11] أنظر في أراء الامام الغزالي في المعرفة والعقل موقع مركز أفاق للدراسات والبحوث على الشابكة.

إن مدرسة الثالوث في الإخوان "مدرسة العشرات-نسبة لسجنهم عشر سنوات من الأعوام 1965-1975" مدرسة القطبيين، هي مدرسة تستند إلى مقومات "الايهام" للآخر المتلقي من الناس أنه هو وحده الحق=وحده الإسلام، ما يوقع الروع والخوف من مخالفته، لأنه الإسلام بعينه (نحن أهل الحق/أهل الصدق/التنظيم الرباني/هذا الأمر كله=الدعوة الاخوانية من القرآن...الفسطاطين بلسان خالد مشعل رئيس المكتب السياسي ل"حماس" الفلسطينية مرارا) ما عبر عنه بإخلاص شديد وإيمان د.محمود الزهّار، فهو لا يقول إلا ما يمثله التيار الحاكم والمسيطر بالإخوان منذ 1996 ، استكمالا لتأثير سيد قطب فيما سبق.

وكما هو الحال في فكر د.محمود الزهار الصريح إخوانيا ووطنيا، إذ لا وطن مع فكرة الدولة الاسلامية=الخلافة=استعادة مجد الإسلام من خلال "فهم" الإخوان كما أكد عليه البنا مرارا فيما أسمى وصاياه العشرين، لاحظ كلمة "فهم" الإخوان للإسلام.

"بفهم" الاخوان يتم تنزيه الذات المكتملة (القرآن=الدعوة=البنا=الزهارأو أي منهم) ما يُسقِط أوهام "فكرة-فهم" حزبه على الناس كما فعل د.محمود الزهار في المسجد الجمعة الفائتة من شهر ابريل 2015 في غزة، فضلل المسلمين ضلالا شديدا ، حيث استخدم الآيات الكريمة المختلفة (قاتلوهم حيث ثقفتموهم/من يتولهم فهو منهم/...) بشكل إسقاطي مختل، من رجل يظن نفسه يمثل الإسلام وحزبه حيث اجتزأ وأوهم وأسقط وعكس على ذاته المطلق والصلاح والحق والآخرين ضمن تشبيهاته للإخوان أنهم المسلمين وحدهم! ولمن يخالفه هم: كفار قريش حسب تطويعه للآيات بشكل لافت، عدا عن تفسيراته للآيات ما لا يتفق فيها معه كثير من المفسرين أصلا.

البنّا وهدى الإسلام الحنيف

الزهار[12] وطنيا-وتياره المتشدد في "حماس"- وكذا "الاخوان" عامة عندهم "التمكين" مرحلة ثالثة، ولا يجوز بعد أن حصلت (في غزة كما بالسودان اليوم) لا يجوز التخلي عنها مطلقا، ومن الممكن استخدام كافة الأسلحة حينها -حين التمكين- ضد المخالفين، ما قاله ونظّر له حسن البنا الذي هدد بالانقلاب على الحكومة المصرية في المؤتمر الخامس للإخوان عام 1938 (ص 43 نصا: ان الإخوان المسلمين سيستخدمون القوة العملية حيث لا يجدي غيرها، وهم حين يستخدمون هذه القوة سيكونون شرفاء صرحاء وسينذرون أولا....)؟

لماذا ؟ يرد بالقول لأن (الإخوان المسلمين يسيرون في جميع _لاحظ التنزيه في جميع خطواتهم وأعمالهم على هدى الإسلام الحنيف كما "فهموه".....وهذا الإسلام الذي يؤمن به الإخوان المسلمين يجعل الحكومة ركنا من أركانه ويعتمد على التنفيذ كما يعتمد على الإرشاد وقديما قال الخليفة الثالث رضي الله عنه إن الله ليزع بالسلطان ما لا بالقرآن،[13] وقد جعل الرسول الحكم عروة من عرى الإسلام والحكم معدود في كتبنا الفقهية من العقائد والأصول لا من الفقهيات والفروع ....فإن القعود عن المطالبة بالحكم جريمة إسلامية لا يكفرها إلا النهوض واستخلاص قوة التنفيذ من أيدي الذين لا يدينون بأحكام الإسلام الحنيف ص 45)

ناهيك عن الخلط الفقهي فيما قاله حسن البنا الساعاتي أن الحكومة أو الدولة أو الخلافة ركنا أو من العقائد ما هو غير صحيح البتة، بل العكس هو من أمور الاجتهاد لا من العقائد، وعدا عن خلطه أنه من الأصول وقد أخطا ثانية فهو في كتب الفقه عدا الشيعة من الفروع ضمن السياسة الشرعية، ثم أخطا ثالثا في نقل قول عثمان المتناقض مع القرآن كمطلق قول، وحتى لو صح عن عثمان رضي الله عنه فقصد به وقتها المحاربين له في فترة الفتنة عليه، والقول الأصدق عامة هو أن قوة

---

[12] برر د.محمود الزهار انقلاب "حماس" على غزة عام 2006 بأنه كي لا تروا لحمنا ممزقا على الحائط، أي أن الحسم العسكري (اسم الدلع للانقلاب) كان واجبا (نتغدى بهم قبل أن يتعشوا بنا) لذا لا يمكن انطباق آية (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما...) كما قال خالد مشعل في مقابلة فضائية له بعد الانقلاب في قناة الفجر الفضائية.

[13] العكس هو الصحيح أي (إن الله لا يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن) أو (إن الله يزع بالقرآن ما لا يزع بالسلطان) لأن قوة القرآن أعظم مهما كان الجبروت والاستبداد الأرضي، والعبارة باللفظ المذكور المنسوبة لعثمان بن عفان رضي الله عنه ، فإن كان النقل صحيحا فهو يقصد كما نعتقد الفتنة التي حصلت ضده ولم يقاوم الأشرار محدثي الفتنة بالسلطة والقوة مفترضا قوة منطقه وأمانة البيعة كافيا لحفظ السلطة ما لا ينطبق على فئة من الناس هم أصحاب الفتن.

القرآن (يزع) أشد من السلطان في نفوس المؤمنين الأتقياء والعكس يشمل فقط المؤمنين الضعاف.

إذن د.محمود الزهار في نموذجنا الفلسطيني ينهل من هنا فهو يريد إعادة حكم الإسلام جبرا واستبدادا بفهمه هو، وقسرا لأنه هو الإسلام أي هو ودعوته وفهمه أو فهمهم الأوحد للإسلام كما قال البنا ثم أصّله قطب ثم مصطفى مشهور الذي طالب بالتوقف للمسلمين عند فهم واحد فقط، تصور رغم تعدد اجتهادات المسلمين ما هو نعمة كما يقول الرسول.

عبدالرحمان السندي والطاعة العمياء

أنظر لمنطق الجبر والاستبداد في أسلوب عبدالرحمان السندي رئيس النظام الخاص أي التنظيم السري في الإخوان منذ البنا، الذي حله المرشد الثاني حسن الهضيبي، وهذا الرجل الذي قابله عمر التلمساني "المرشد ما بعد الهضيبي"، الذي قابل السندي فترة الأول ليحاول فهم سبب موقف العداء بينه والمرشد الهضيبي فقال له التلمساني كما يروي: أهذا رأي جماعتك؟ قال السندي: أنا لم أعتد أن آخذ رأي أحد؟؟ هكذا كان انعكاس الطغيان والاستبداد الناشيء عن مفاهيم السمع والطاعة المطلقة العمياء في داخل التنظيم السري الذي وصل لدرجة العبودية للسندي في مقابل طغيانه، ما تجده في التنظيمات السرية القتالية عامة منذ الحشاشين حتى مليشيات "حماس" اليوم.

إن فكر التيار القطبي بعملية "تسويق الوهم" وتغليفه بورق حرير أو"سوليفان" القداسة، على أنه حقيقة ينطلق من اكتفائه بذاته، وبما فهمه سابقا دون أن يتبحر ويتفقه وينظر مجددا بالمتغيرات بالاتجاهات الأربعة، وبأفكار البنا من أكثر من 80 عاما التي جاءت في ظرف تاريخي مختلف كليا عن الوجه الحديث الذي ليس فيه القطيعة والمفاصلة ومنطق المعسكرين والفسطاطين بين المسلمين، عدا عن التطور الكبير الحادث في فهم معنى الدولة كوسيلة تؤطر كافة القوى والأفهام والجماعات ثم معنى المدنية ثم معنى الديمقراطية...الخ وهي أفهام حاربها البنا ثم توقف عندها يتأمل ما هو فضيلة تُحترم، إلا أن التيار القطبي أصّل رفضها.

نقول إن هناك خطورة عظمى لانتشار الفهم الضيق مقابل الفهم الرحب، ولانتشار عقلية الانسحاق والإذعان دون تفكير، لأن الفهم الضيق هو الفهم القطعي الاحتكاري الحصري للإسلام (وفي أي فكرانية=أيديولوجية) هو تضييق وهو الذي أصّله الثلاثة (البنا في فترة بحثه عن الخلاص وعسكريا عبر السندي-قطب-مشهور....) وما زال يمثل فكر الإخوان الرسميين اليوم إن استثنينا نموذج تونس والمغرب وتركيا التعددي المستنير.

سيد قطب من انبهار الى تطرف

سنعود أيضا لسيد قطب -رحمه الله ورحم كل أمواتنا- الذي انبهر بالحضارة الغربية في أمريكا وساءه الفساد الخلقي وتحرر المرأة والتمييز العنصري ضد السود حينها في أواخر الأربعينات والخمسنيات عندما ذهب هناك، ومقدار الحريات الشخصية والجرأة فيها فأسقط في ذهنه أن الحل برفض هذا المجتمع وقيمه وبالتالي رفض المجتمع المماثل له المشابه كما يظن أي المجتمع العربي والمصري والإسلامي إذ اعتبره بكل سذاجة يعيش الجهالة منذ قرون؟! تصور منذ قرون؟

لننظر أيضا ونتعجب (ارتدت البشرية إلى عبادة العباد وإلى جور الأديان ونكصت عن لا إله إلا الله وإن ظل فريق منها يردد على المآذن: لا إله إلا الله) في ظلال القرآن ص 2009ط. دار الشروق الشرعية

ومازال في الجعبة الكثير لنقرأ حيث يقول قطب: (إنه ليست على وجه الأرض اليوم دولة مسلمة ولا مجتمع مسلم قاعدة التعامل فيه هي شريعة الله والفقه الإسلامي) الظلال ص 1222ط. دار الشروق،

ويرسم سيد منهجاً تجهيليا وإن رآه الأخرون تكفيرياً لما يسميه حركات البعث الإسلامي بوصيته لها (أن تتبين أن وجود الإسلام قد توقف (منذ فترة طويلة)، فتسير، بذلك على صراط الله وهداه) وتحذيرها من: (أن تظن لحظة واحدة أن الإسلام قائم وأن الذين يدعون الإسلام ويتسمون بأسماء المسلمين هم فعلاً مسلمون، فتسير وراء سراب كاذب تلوح لها فيه عمائم تحرّف الكلم عن مواضعه وترفع راية الإسلام على مساجد الضرار) العدالة ص 185 و 216ط. دار الشروق.

أليس في هذا كل الوضوح للمنهج في التفكير حيث التنزيه والتقديس للمعسكر الايماني ضد الشيطاني الممثل بمن هم غير "الاخوان"؟ وبمنطق تفسير وفهم ضيق...بل ضيق جدا

لقد تأثر سيد حينها بما وصل يديه من فكر أبوالأعلى المودودي الذي كان يجهّل ما غير المسلمين من الهنود فأسقطه قطب على المجتمع المسلم ذاته، ما هو من انعكاس شخصيته المغلقة على المفاهيم ما حدا به لاحقا لكتابة "المعالم" بمنطق الولاء والبراء والاستعلاء على الآخر المخالف ومنطق تجهيل كل من لا يحمل فكره وضرورة الانقلاب عليه بالقوة ما مهد بقوة للتكفير، مما تعرفه في المعالم.

لا يمكن فهم فكر البنا بالمنطق الذي يفترض التعامل مع خطاب حسن البنا بشكل منفصل عن تاريخيته، بمعنى إن كان يريد-ربما- بإيراد المطلق إحداث التغييرأو التاثير بالقرار، فهو استخدم كافة وسائله من دعوة واستجلاب المقدس والتهديد بالعنف في مرحلة تاريخية عصيبة كانت المواجهة بالنسبة له مع 3 أعداء واضحين الأول هو الاستعمار والثاني أذناب الاستعمار في المملكة المصرية اما الثالث فهو فكر الأمة الذي رأي أنه ينزلق خاصة بعد انكشاف الغطاء برأيه بسقوط "الخلافة" التي سعى لاستعادتها بأي سبيل أو شكل مختلف، ورغم تهديدات البنا مما ذكرنا وخطأ استخداماته، بل إقحامه القضايا الحزبية في نطاق السياسي ما أضفى عليها المطلقية والقداسة الا أنه برأيي عقلية عمليانية (براغماتية) واقعية تمثلت بالنقلات التي طالت عمله السياسي، ولكن كانت المصيبة الأكبر فيمن اخذوا أقواله على محمل القداسة لا تغيير ولا تبديل، وأسقطوها في مرحلة تاريخية مختلفة كليا أي بعد نشوء الدولة الوطنية.

مصطفى مشهور يكمل الثلاثي

كان ثالثة الأثافي ي مسار الثلاثي بذور فكر البنا-السندي ثم قطب هو مصطفى مشهور المرشد الخامس لهمن واليكم غيض من فيض مما يقوله أيضا وسار على دربهم فلسطينيا على ما يبدو د.محمود الزهار ومن والاهم من التيار المتشدد، باستثناء أولئك الذين رفضوا هذه المدرسة القطعية أمثال الخرباوي

والمليجي وأبوالعلا ماضي والشيخ الغزالي والشعراوي وأبوالفتوح ومحمد حبيب والباقوري...الخ

يقول مشهور في كتابه عن الجهاد-موجود على الشابكة في موقع موسوعة الاخوان المسلمين- حيث يخلط متعمدا بين الجهاد بمعنى قتال اليهود وقتال المشركين أيام الرسول (لزوم إسقاطات القداسة على الدعوة) وبالتالي أو بالتعدي على القتال في المجتمعات،... تأمل معي

"والإخوان عندما يقدمون شبابهم للجهاد في الوقت المناسب، لا يلقون بهم إلى التهلكة" هنا هو يبرر إرساله لهم إلى أفغانستان على عكس قرار المرشد حينها، ويضيف

"وحينما تهيأت الظروف نزل الإذن بالقتال في قوله تعالى:(أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ)(الحج:39).

...وعلى هذا الضوء لن يستمر موقف الإخوان من الاعتداءات المتكررة عليهم سلبيًا، ولكن لا بد من يوم يعذرون فيه إلى الله ويردون العدوان ويدافعون عن أنفسهم.
ليس الجهاد لدفع الأذى فقط...ولكن لإقامة الدولة المسلمة أيضًا" [أنظر تجهيل المجتمع وانظر المقارنة الباطلة بين الإخوان=المسلمين، والأخر=عامة الناس في البلد=الكفار]

وتحت عنوان الاستشهاد على طريق الدعوة في نفس الكتيب يقول:

"وليعلم شبابنا المسلم أن المعركة بين الحق والباطل معركة شرسة وممتدة زمانًا ومكانًا لتشمل الساحة الإسلامية، وليعلموا أن الجهاد هو السبيل وأن التضحية بالنفس والمال أمر حتمي، وأن فرصة الجهاد والاستشهاد ستزداد خلال عشرات السنين القليلة القابلة كمقدمات لمرحلة الجهاد والتمكين بإذن الله كما حدث في عهد الدولة الإسلامية الأولى بعد مرحلة الإيذاء والتعذيب.

كما ترى عقلية التنزيه للذات وفكرة "الدولة الإسلامية" (وهي السلطة والنفوذ والحكم) الجامحة من المجتمع غير الإسلامي، تحتاج القوة في كل مكان وإن كان من فترة كمون فهي للاستعداد فقط، لأن الوثبة على الحكم هي عروة وعقيدة(؟!) (كما حصل مثلا في انقلاب غزة عام 2007، وفي انقلاب مصر بتسنّم أكتاف ثوار مصر عام 2011، وكما حصل في انقلاب السودان...) وهي أصل ومن لا يفعلها مجرم فكيف الحال وحماس سيطرت على غزة وذاقت حلاوة السلطة والكرسي الوثير والأموال والهيلمان والتحكم في رقاب الناس!

من الممكن أن نضيف فكرة هنا أيضا في الخطاب ليس فقط الاسلاموي وإنما العالمي السلطوي استنادا لما قاله الشهرستاني وعلق عليه د.خالد الحروب ، إذ قال: ("ما استل سيف في الإسلام مثل ما استل على الإمامة"، هكذا قال الشهرستاني، كما يقتبس وجيه كوثراني في كتابه «الفقيه والسلطان: جدلية الدين والسياسة في تجربتين تاريخيتين، العثمانية والصفوية». ويمكن ببساطة افتكاك مقولة الشهرستاني من سياقها الخاص بإعادة صوغها كالتالي: «ما استل سيف في تاريخ البشر مثل ما استل على الحكم». أُس مسألة السياسة واجتماع البشر، إذن، وجذرها المُتحفز للتفجر يكمن في السلطة والسلطان. ليس هذا حصراً في فضاءات العرب والمسلمين بل هو ديدن البشرية على اختلاف شعوبها وأديانها وثقافاتها. ظلت السلطة هي المغرية الدامية والمُدمية)[14] ويضيف معلقا لما سبق أيضا بالقول وبما يماثل مفاهيم الكواكبي (السلطان، وحتى يومنا هذا، لم يجد وسيلة أكثر نفاذاً وفعالية من الدين لتوظيفه في الاستحواذ على السلطة. في كل ديانات وسياسات العالم، انهمك السلطان في السيطرة على المعتقد ليقول لعامة الناس إنه حامي ذلك المُعتقد، وإنه الممثل الشرعي له، واشتغل على تحويل وتحوير وتأويل المقولات الدينية لتعزز من شرعيته-د.خالد الحروب)

إن تصريحات د.محمود الزهار ذات الطابع الحاد والتحريضي، والكثير من قادة "حماس" والاخوان نابعة من اعتقادهم الجازم أنهم في مرحلة تراجع ومرحلة انهيار في ظل تفتت الإقليم، لذا وجب فتح الرشاشات ضد الجميع لإحداث المفاصلة بين الفسطاطين فلم يبق له إلا الاتهامات بالتخوين والتكفير والشتم المقذع كما بدا

[14] من مقال للكاتب خالد الحروب في صحيفة الاتحاد الاماراتية عدد الاثنين 05 رمضان 1436هـ - 22 يونيو 2015م

يقوم به بقوة النواطق في "حماس" في محاولة لايقاف التدهور الحاصل في "الدولة"-الهدف الأسمى، التي أقاموها، وفي الانفضاض الشعبي.

إن العجز عن تطبيق نموذج "الدولة الاسلامية" كما يفهمونها، بعد أن حصل "التمكين" لا يستطيع أصحاب الفكر القطعي المقدس المكتفي بذاته أن يفهموها وينتقدوا أنفسهم ويصوبوا مسارهم، وكيف يكون ذلك؟ فهم على مدى تاريخ الجماعة لم يعترفوا بنقيصة-ألا ما ندر- ولم يعترفوا بخطأ كبير أو هزيمة لأن الإسلام=الإخوان في نظرية وهمهم المقدس، لذا هم فقط ينتصرون دوما، فلا يبقى من أسلحة يلطمون بها الأحداث والآخرين إلا أسلحة المؤامرة على الاسلام=عليهم، وأسلحة التآمر مع العدو ضدهم، وتفعيل منطق التبرير لأنفسهم ضمن مقولات: المحنة والابتلاء والمظلومية في كل فترة يتم القضاء عليهم أو فشل تجربتهم.

إن عقلية المراجعة والنقد –فلا ابداع بلا نقد-والحوار والاعتراف بالآخر والتعددية دون استغلال الدين واسقاطه على الناس وهما مترابطا منسوجا على مقاسهم فقط، وعدم تنزيه فهم وفكر الذات هي الباب الذي يجب أن يفتح في عقول أمثال هؤلاء ليدخلوا فضاء الرحابة ويخرجوا من الغرفة الضيقة التي حشروا فيهما أنفسهم ما نتمنى فيها لهم الهداية كما لنا.

التيارات الإسلاموية المتطرفة و"وعاء الآلهة" [15]

"يقول الإمام محمد الغزالي "أنا لا أخشى على الإنسان الذى يفكّر وإن ضلّ، لأنّه سيعود إلى الحق، ولكني أخشي على الإنسان الذي لا يفكّر وإن اهتدى، لأنّه سيكون كالقشة في مهب الريح"[16]

---

[15] دراسة للكاتب استنادا لفكرة من حلقة خاصة لحوار مع الكاتب في فضائية عودة حول التيارات المتطرفة وتأثيرها على الأمة والقضية ، والرابط التالي للشريط على (يوتيوب)-المعهد الوطني لتدريب الكوادر

https://www.youtube.com/watch?v=3MB6QmEJIcw

[16] الشيخ محمد الغزالي (1917-1996م) عالم ومفكر إسلامي مصري، يعد أحد دعاة الفكر الإسلامي في العصر الحديث، عُرف عنه تجديده في الفكر الإسلامي وكونه من "المناهضين للتشدد والغلو في الدين" كما

مرت تجربة الفكر الإسلامي بمراحل متعددة، وإن كانت البداية في شأن التعددية قد ارتبطت بالخلاف على السلطة والحكم والسياسة، فإنها سرعان ما مزجت بينها-كتجربة صراع سياسي فكري- وبين العقيدة فيما ينتج عنها الفتنة الكبرى في التاريخ الاسلامي.

ورغم أن التوزّع والاضطراب والاحتراب أصبح سمة المختلفين إلا أنه وبالاتجاه الآخر نشأت مجموعة من الأفكار والصراعات والحوارات التي جعلت من العقل الاسلامي عقلا متحركا مستنيرا لا يقبل بالقليل ولا يرضى بالمسلمات دون نقدها.

كانت فكرة العقيدة وفكرة القِيم وفكرة السياسة تشير في محاولة جادة لمفكري المسلمين لتحقيق الربط بينها إلا أن الربط لم يتحقق، إذ سرعان ما أصبح لكل منها أي العقيدة والسياسة والقيم مسارا ليس بالضرورة مرتبطا بالآخر، فحيث أصبحت العقيدة تعني القداسة والمطلق ويتم التعبير عنها بالعبادات والمعاملات وقواعد الإيمان، فان أخلاق التعامل لم تخضع بالضرورة لطبيعة الإيمان.

أما عن الشأن الدنيوي السلطوي السياسي فأبحر في محيط الاستثمار أوالاستغلال للعقيدة أو للقيم بما يوطّد السلطان والحكم إلا من رحم ربي.

توزعت تيارات الأمة الإسلامية على قاعدة الخلافات الثلاثة (العقدية،القيميّة/الأخلاقية،السياسية) وما كان بينها من تقاطع أو تنافر أواستغلال، فنشأت الطوائف التي حملت عقيدتها على سيف السلطان (السياسة) وجيّرت (العقيدة) لمصلحة السلطان ، وحاولت أن تتحلى بقيم وأخلاق جاذبة تؤهلها لموقع الإمارة أوالسيادة.

الانشقاق الأول في التاريخ العربي الاسلامي لم يكن سهلا، إذ كانت أصعب فتراته في رحاب الخلافة الراشدة ما أنتج على مدار زمني طويل كل من السنّة

يقول أبو العلا ماضي-عن الموسوعة الحرة.

والشيعة بفرقها أو مذاهبها المختلفة ، كما أنتج مذاهب أخرى لم يكتب لها الاستمرار مثل الخوارج والمرجئة والقدرية.....

إلا أن الحوار الفكري ظلّ متصلا ولم يتوقف بين الأئمة والمجتهدين والفلاسفة والمفكرين، واستطاعوا أن يحققوا تلاقحا في التجارب والأفكار ما أنتج أفكارا مستنيرة واجتهادات، كان للعقل فيها دور رئيسي حتى أطلت عصور الظلام ببشاعتها على الأمة فحط العقل رِحالهُ ليسود خطاب (الستارة السوداء) ممثلا بتقديس ما لا يمكن الوصول إليه (الفكرة السامية) أو (الدولة/الجماعة/المجتمع النموذجي)،وصيغت بناء على ذالك مجموعة من الافتراضات حُمّلت على عبء الموروث وألصقت بسيرة سيد الخلق أوصحابته أو آله رضوان الله عليهم أجمعين.

ساد التمجيد والتنزيه والتقديس للتاريخ سواء للأفراد أو للمحتوى التاريخي، كما ساد لمجموعة من الوقائع والاستنتاجات التي أصبحت مسلّمات! وصلت في مراحل متعددة لدرجة أنها أعتبرت جزء من الإيمان لا ينفصل عنه مطلقا، مثل أفكار آخر الزمان ، وافتقاد العدالة التي تحتاج لنبي أو "من يحمل عصاه" ليعيدها، في استلاب للآيات القرآنية التي ألقت العبء على الإنسان ليصنع يومه ومستقبله وحضارته بفكر ودعوة الرسالة المحمدية المهدية.

الصراع في الأمة، وما زال حتى اليوم، ينبثق من مدرسة العقل الناقد المجدد والمستنير والمتطور، ومدرسة النقل الماضوية التقديسية النصوصية، وثالثهما مدرسة الإفراط والمغالاة التي أنتجت اليوم العقل الماضوي المتطرف الذي مزج بين الماضوية والتطرف والعنف وكأن هذا يؤدي الى ذالك .

كان يمكن للعقل الماضوي أن يعيش أمجاده في مجتمع منعزل، أوعلى الأقل في بوتقة (إناء) ما يُفكّر به (خيال أو واقع افتراضي) أو في وعاء المنقول النصي دون تمحيص وتطوير عقلي،[17] وحاول هذا العقل أن يجعل من المصالحة الشكلية بين فِكرِهِ المبوتق (المقولب الموضوع في إناء محدد) والفكر السائد حالة من التعايش، ولكن بجدران صنعها، لا تسمح للفكر السائد في المجتمعات أن يخترقها.

[17] حين ذم بعض المتصوفة العقل، أجابهم الإمام أبوحامد الغزالي بأن العقل" نور البصيرة التي بها يعرف الله ويعرف صدق رسله، فكيف يتصور ذمه وقد أثنى الله تعالى عليه. وإن ذم فما الذي بعده يُحمد؟

رغم رفض التيارات الماضوية النقليّة للسائد في المجتمع ،إلا أن منطق مصالحتها وتعايشها مع المجتمع بما فيه، لم يكن يعني منها الإقرار للسائد في المجتمع بصحة عقيدته أو ممارساته، وإن شدد على عدم القضاء على الفكر الآخر المختلف (بتكفيره أو قتله) رغم رفضه له.

حديثا ومع ظهور فرصة قوية لخلق "مجتمع موازي" أو مجتمعات أصبحت الأمكانية أفضل لينتقل المجتمع المحلوم به من الواقع الافتراضي لدى التيارات الماضوية إلى الواقع المعاش عبر 3 أشكال، الشكل الأول من خلال (العزلة المكانية الجغرافية أوالهجرة) أو من خلال المجتمع الموازي ممثلا (بالجماعة) أو (التنظيم)، أو من خلال (الواقع الالكتروني/الحياة الافتراضية)،.

سعت التنظيمات الإسلاموية منذ القرن العشرين وعلى أثر صدمة سقوط "الخلافة" أو السلطة العثمانية لإعادة مجد الأمة -كما تنظّر لها-، إلا أنها توقفت عن الإشعاع العقلي والعلمي والفكري الثري لتخترع أو تتعامل بدلا من ذلك مع مجموعة من "الأعداء" المفترضين كعامل استقطاب، دون أن تحصّن ذاتها في المسارات الحقيقية للنهضة، وهي العلم والاقتصاد والوحدة.

قادت التنظيمات المتطرفة والفكرالمُغالي عملية ابتدأت برفض المجتمع القائم باعتباره ليس مسلما بشكل كامل (جاهلي)، إلى أن أصبحت التهمة بالرِّدة أو التكفير لازمة عند هذه الجماعات ، وما كان من التبلور لديها لفكرة (الخلافة) أو (المهدوية) الخدّاعة ، أو فكرة "الجهاد" بمعنى القتال الهجومي فقط، أو فكرة الأمة المقدسة إلا برهانا على خروجها في حقيقة الأمر عن سماحة الإسلام ورحابته وحقيقة دعوته للعالمين.

جاء الإسلام الحنيف للعالمين، ولم يأت للمسلمين لوحدهم، فكان أن أصبح سيف السلطان (الخلافة/الإمامة) لدى هذه التيارات بتّارا أكثر من (القيم والاخلاق) والإنسانية السامية التي تمدّد وانتشر لسببها الإسلام العظيم، حيث تنتشر الدعوة بالقلوب والعقول، وتتمدد الامبراطوريات بالحرب والقدرة العسكرية والاقتصادية،

والفرق بين قوة الرسالة والإمبراطورية، هو فرق بين البندقية وزراعة الأشجار المثمرة.

نظرية مثلث وعاء الألهة

الكمال-الجماعة-الظهور

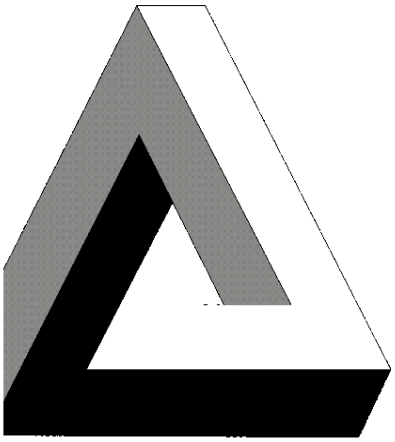

لا ننكر أن عوامل كثيرة أسست لمنهج التكفير القطعي الاجتزائي والنصوصي منها الاستعمار الغربي، والاستبداد الوطني والقومي، وطبيعة المجتمعات السلفية الماضوية، وافتقاد منابر العلم والتدريس للمنهج العقلي والعلمي، وما حصل للأمة من نكبات سياسية متتالية وفي فترة وجيزة ليس فقط منذ نكبة فلسطين وإنما فيما قبلها وبعدها،كما لا يغيب عن البال الممارسات القمعية للأنظمة الحديثة، وإغراق الأمة في بؤس اقتصادي، وجهالة وتخلّف، عدا عن تطبيقات "علمانوية متطرفة" في بعض البلدان (منها ما جعل العلمانية نظير الدين الجديد)، كلها عوامل لا تلغي وجود درجة عالية من الاستعداد للتقبل لمثل هذه الأفكار في داخل البيئة الحاضنة التي أسست للفكر الماضوي المتطرف الجديد.

لا نريد الخوض في العوامل الخارجية المسبّبة للتطرف الإسلاموي على أهميتها ووجاهتها، ولكن سنركز في التطور الحاصل في (البيئة) أو(الوعاء) كما في (الفكرة) وعوامل تجليّات أو ظهور الفكرة ما نطلق عليه اسم نظرية مثلث (وعاء الآلهة).

كل من الكمال والجماعة (التنظيم) والظهور تشكل الأضلاع الثلاثة لمثلث "وعاء الآلهة" الذي يعتبر الانخراط فيه الفردوس المفقود أو الجنة الأرضية أوالحقيقة الافتراضية أو المجتمع المثالي التي يسعى (الكاملون) للعيش فيها في مساحة الجماعة.

أصحاب الفكرة (الكاملون كما يعتقدون، الآلهة) من فاسدي العقل يتوجهون لفئات بعينها وينخرون كالسوس في أدمغتها، فهم يختارون الفرائس من فئات محددة مثل المتطرف في آرائه أو أفعاله، أوالعاطل عن العمل الناقم على حياته أو عائلته أو أبيه أو بلده، المنعزل الانطوائي المتدين،المتعصب في تكوينه،أو المستنكف عن المواجهة للغير أو عن العمل، ويتوجهون نحو الجاهل علميا وفكريا وفقهيا أو قليل العلم توجها يعطي ثماره غالبا، ويتوجهون نحو شخص مظلوم أو مقصر دينيا أومنبوذ مجتمعيا أو مريض نفسيا، أو ذو طابع استعراضي أو متوتر وهم في كل ذلك يستغلون البيئة السلفية النقلية المجمدة للعقل التي يتربي عليها غالب هؤلاء.

إن (الكاملون) في جماعتهم يتطورون ، فلا تبقى الأفكار فقط هي الجامع أوالأفكار والعلاقات الداخلية، وإنما يتطورون ليعبّرواعن كمالهم ومجتمعهم الخاص عبر الظهور للعلن.

نظرية مثلث (وعاء الألهة)

أن نظرية وعاء الآلهة افتراض قداسة ،وكمال للذات في الشخص-كل شخص مع درجات ومراتب، وهو مرتبط بالضرورة باعتقاد واهم أنها –هذه الشخصية- تمتلك الفكر الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وعليه تكتفي بذاتها وفكرها (وهو فكر جماعتها المشوّه) وبما لديها من تفاسيردينية أو تأويلات ذات طابع نقلي ماضوي مغلق، وهذا الشخص (الإله) في إطار انغلاقه يُنشيء كراهية للآخر، فما دام لديه إحساس طاغ بالنقاء والكمال فهو مؤهل للاحساس بالتفوق (ما هو وَهْم) والتميز.

ومثل هؤلاء المتطرفين الاسلامويين الذين يصفهم المفكر الكبير محمد أركون، هم الذين يصفهم بأنهم من يمتلكون "التصور الهوسي للنموذج النبوي" أي أن فكرتهم عن النموذج النبوي الشريف أنه لا يدانيه تطور أوتقدم مطلقا.

الكمال (في ذات الشخص) هو الضلع الأول في وعاء الألهة يكمله ضلع التنظيم أوالجماعة الربانية التي تقوم بتربية الأعضاء على السمع والطاعة قياما

وقعودا، بعد أن تكون قد استدرجتهم بخطاب القلب والعاطفة الدينية لتغزو عقولهم فيصبح ما يقومون به من قبائح ورذائل قابل للتقبّل، لأن العضو هو النقي وهو الكامل داخل الجماعة النقية والكاملة مهما فعلت أو فعل قادتها من فواحش، فهم تحت إمرة القيادة (كالميت بين يدي المغسل) كما كرر كل من مختار نوح وثروت الخرباوي من قيادات الإخوان الخارجين من الجماعة، وتصبح الجماعة هي المجتمع البديل للمجتمع الحقيقي، ما يؤهل العضو للنفور من المجتمع العام أيضا، فهو مكتفي بما لديه وتتولد لديه منظومة كراهية ورفض للآخر وصولا لمحاربته.

إن ضرورة الظهور أو تحقيق التمكين تمثل للجماعة والعضو مطلبا ساميا فقد لا يكتفي بالعزلة الشعورية أو المكانية عن المجتمع فيما هو يعيشه من خلال أوهام أنه (أنهم) من سيعيد مجد الأمة وأنه من سيعيد "الخلافة" المدّعاة "على منهاج النبوة" كما أعلنها أبوبكر البغدادي ومثله الكثير ، وأنه و جماعته من ستستقبل "المهدي المنتظر" بالسجاد الأحمر والألعاب النارية، و(أنه وجماعته) لأنهم المطهَّرين والأنقياء والمكتفين بذاتهم فلا داعي لوجود الآخرين الذين يصبحون حُكما مرتدين أو كفرة، بل يجب محاربتهم.[18]

وهنا يستوجب الظهور والتمكين ما تعبر عنه التنظيمات المتطرفة أولا بصراع الزعامة وبممارسة الإفتاء المضلِل وبالتكفير والقتل، وثانيا باستغلال القيم الدينية من خلال المفتين (جمع مفتي، ويسمونهم داخل الجماعات المتطرفة اليوم الشرعيين نسبة للشرع في داخلهم، مقابل القادة الميدانيين العسكريين) لتطويعهم لأي قرار تتخذه القيادة على اعتبار أنه من صميم الدين وصلب الإيمان مقرونا بآيات وأحاديث يتم ليّ عنقها، أما ثالثا فإن الجماعات المتطرفة تسعى للتمدد والتوسع أفقيا وعموديا، أفقيا بالانتشار بين مختلف الفئات وعموديا بتدجين الشباب والجهلة وقليلي المعرفة ليكونوا أدوات للقادة، أما رابعا فإن من مكونات التمكين إرهاب وإرعاب

---

[18] يقول د.عادل عامر في بحثه حول المراة في الفكر السلفي والاخواني، والمقطع هنا في سياق توصيفة للفكرالسلفي الماضوي إذ يقول : " وككل مريض نفسى هو يكره الفنون والإبداع والأفكار الإنسانية الناعمة ، وحقوق الإنسان والأخوة الإنسانية ، وهو يكره المخالف له فى الأيديولوجية أو فى المذهب أو فى الدين ، ولكن لا يقول إننى أكره فلانا ، بل يقول : فلان كافر أو أيديولوجيته كافرة ووثنية ، أو مذهبه كفرى أو دينه محرف كفرى . فبذلك كفر الشيعة والصوفية والعلمانيين والجمهوريين واليساريين والمسيحيين وكل من يخالفه فى الفكر والمذهب والدين ، وكل من ينتقده"

الآخرين بممارسات وحشية، وخامسا تستخدم هذه التيارات المتطرفة حديثا عنصر الصورة والصوت والإبهار لتعطي لذاتها معنى القوة والعظمة والنصرة من الله.

تسويق الخطاب الإسلاموي

(إن الصّلف مع العلم رذيلة، فكيف إذا كان الصلف مع عجز وقصور؟) كما يقول الشيخ محمد الغزالي ويذكر أيضا (الإسلام يبني النفس على قاعدة «قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها» وأنه يربط الاستخلاف في الأرض بمبدأ "الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر.") [19]

تعمد التنظيمات (المؤسسات والجماعات والشركات والأحزاب..) عامة لتسويق خطابها ، إذ لا يكفي أن يتم توليد فكرة ما، ثم إنتاج الخطاب المصاحب لها عبر بثه أوكتابته ثم يُحبَس في كتاب في مكتبة أو درج ، بل يرتبط ذلك بآليات النشر والتعميم بغرض الإقناع من (دعوة) أو تبشير ودعاية وترويج وتسويق بأساليب قد تكون مشروعة، وقد لا تكون كذلك.

يشير د. هاني المنيعي إلى أن "تسويق الأفكار" يتضمن نقل ونشر القناعات بأسلوب تسويقي علمي ، وحسب آخرين فهو يمر بعملية الابتكار للفكرة ثم تحصينها والإيمان بها ليسير إلى مرحلة الانطلاق بالوسائل الإعلامية و الدعائية المختلفة، وعليه تنتشر الفكرة إلا أنها قد تتغير أو تتطور مع متغيرات الفكر والزمن وحاجات الناس، أما حين تجمد ولا تواكب فإنها تخسر، وقد تندثر أوتتفسخ إلى أفكار عدة .

[19] د.محمد الغزالي في كتابه (السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث)، دار الشروق.

في عمليات التسويق للفكرة التي قد تأخذ عند التنظيمات الشمولية المغلقة العقلية معنى (الغزو) لعقول الآخرين بما يعني الاقتحام القسري للعقول، فإن الكلمة والصورة والحلم و"الوهم" لهما الدور الرئيس، كما أن بلورة الرأي عبر الأسانيد والحجج والمنطق أواستثارة العواطف لأمر هام في الترويج والتسويق عامة (أكان التجاري أم السياسي أو المذهبي).

يستخدم الاسلامويون مجموعة من "القطعيات" (في إطار الصلف عن جهل) ليضربوا النظريات المخالفة لهم ويشوهونها، ويثيرون من حولها "الشبهات" عبر وسائل العرض البارع وتحريف الكلام وفنون الخطابة.

الطريق الأسهل لتسويق المضامين

إن أسهل طريقة في المجتمعات العربية والإسلامية لتسويق (مضامين) الفكرة وخاصة من قبل الاسلامويين على تياراتهم المتعددة اليوم هي:

1. تقديس الخطاب (أنظر ما ذكرناه حول نظرية الوهم المقدس) وما فيه من خلط مقصود بين الديني الحزبي والفكري السياسي.
2. استخدام رموز التقديس والمشابَهَة، بالأعلام والشعارات،وأيضا من خلال التشبّه بعصر الصحابة في الملبس واللحية وبعض التصرفات الشكلية الأخرى التي قد تبهر بسطاء الناس فيخلطون بين حقيقة الفعل المخالف ووهم الرمز.
3. استنفار الموروث: من عادات وقيم، وإن عفا عليها الزمن وبرز في مقابلها وعي ومفاهيم جديدة.
4. إشباع الآمال والأحلام: كحلم "الشهادة في سبيل الله" الذي يتحول للشهادة في سبيل الحزب أو الدعوة أو في سبيل الفكر الخطأ، أو نصرة للقائد .

5. دغدغة مشاعر البطولة لدى الفرد ليدافع عن دينه أو مذهبه كما يقول د. محمد الغامدي ، حيث تتم استثارة مشاعر الحميّة المذهبية من قبل التيارات الاسلاموية سواء الشيعية المتطرفة (نصرة للمذهب الشيعي وحماية قبور آل البيت) أو السنية المتطرفة أمثال داعش (نصرة لأهل السنة) أو الإخوان المسلمين (نصرة الإسلام وفق "فهم" الإخوان) .

6. كما يضيف د. الغامدي مشيرا لرغبة الشباب في الخروج عن النسق أنها تعد عاملاً حافزاً،ومؤهِلا لتقبل أي مضامين اجتماعية او فكرية مختلفة، لا سيما وأن خطاب الاسلامويين يعطي الانطباع للفئات المستهدفة وخاصة الشباب أنهم بانضمامهم لحزبهم وأهدافه الكبرى (ينشغلون بمشاغل كبيرة) تؤدي لفاعلية واحترام ودور أكبر في المحيط.

آليات الاستقطاب والتسويق النفسي

في الاستخدام للآليات تتخذ التنظيمات السياسية عامة وسائل محددة الهدف منها "الحشد" نحو الفكرة والتنظيم، والحشد مطلوب لكن الأصل هو "البناء" حول الفكرة بمعنى تكوين النواة الصلبة بما يُحسِن الاستثمار أو الاستخدام بحسب أهداف جهة التسويق أوالاستقطاب والدعوة .

تستخدم التيارات الاسلاموية المنابر في المساجد والمدارس والجامعات ووسائل التواصل الاجتماعي كمنصة لترويج أفكارها وتسويقها مستعينة بقيادات (إسلامية) تبدو بعيدة عن الفكر الحزبي، وأحيانا شباب ملتفين حول الفكرة وليسوا بالضرورة من

صلب (التنظيم)، وهنا يأتي دور "التوظيف والاستخدام" لهدف مخالف لما قد يريده الشخص المستَخدَم.

تقول الكاتبة روزا ياسين حسن (أطلق الإسلاميّون [20]على تمدّد تيّارهم الكثيرَ من التسميات التي أضفت العميقَ من المعاني الروحيّة (الميتافيزيقيّة)، مثل «العودة إلى الأصول» و«الصحوة الإسلاميّة» وغيرها. غير أنّ هذا يحمل في طيّاته الكثيرَ من التضليل الذي تمتاز به إيديولوجيا تستعير من الدين مصطلحاتِه الماضويَّة لتفسير وقائعَ سياسيِّة حديثة، وتسعى إلى الإطباقِ على راهن الناس باحتكار ماضيهم والادِّعاء أنها استمرارٌ للمقدّس فيه. وكان غرضُ الإسلاميّين من هذا الخطاب استكمالَ نقل الفعل الإسلاميّ من حدوده الثقافيّة ـــ الدينيّة إلى المعنى السياسيِّ والصراع على السلطة، ومحاولةَ تجيير قوة الإسلام المعنويّة لخدمة تصوّرهم لنظامٍ سياسيّ اجتماعيّ.)[21]

وفي (الآليات) 3 خطوات الخطوة الأولى: هي "الهز والتحفيز والاستبدال" والتي يتبعها عند نجاحها خطوة "التطويع"، ثم تأتي المرحلة الثالثة وهي مرحلة "الاستخدام والتوظيف" وفي الخطوة الأولى بإمكاننا الإشارة لسبع نقاط.

[20] لا نتفق مع مصطلح الكاتبة فأصحاب الفكر الحزبي الاستبدادي القطعي هم "الاسلامويون" لا "الاسلاميون"، لأن كل مسلم فهو إسلامي بغض النظر عن مدى قربه من الدين أو رأيه السياسي. عدا عن أن الفكر الاستبدادي القطعي يشمل أيضا أصحاب الأيديولوجيات الأخرى كالشيوعية والقومية العنصرية وغيرها.

[21] مقال للكاتبة السورية روزا ياسين حسن عن "الاسلام السياسي" عام 2011

1. آلية هز القناعات : فأنت في مجتمع مقرف مليء بالخطايا والإباحية والابتعاد عن دين الله، فهو مجتمع جاهلي (كافرأو مرتد أو..) والدليل .... من القرآن والسنة -كما يفهمونها ويطوعونها- ومن كتب التراث .
2. آلية الإشعار بالذنب: فأنت مقصّر، ولا تفعل شيئاً لدينك أو ربك أو مذهبك، فيرى الشخص الواقع تحت سيطرة "وهم قداسة" اللحية والجلباب وافتراض أن في أمثال هؤلاء ينطقون الحق دوما فلا يأتيهم الباطل لا من بيد أيديهم ولا من خلفهم، يشعرانه ذليل أو خجِل إن لم ينصاع لهم .
3. آلية تحفيز الواجب إذ ينتبه الشخص بعد كل ذلك، وعبر "تكرار"هذه الآلية أن بإمكانه أن يفعل شيئا ولو على الأقل بالانتماء لهذا التنظيم، أو دعمه ولو على توتيرأو الفيسبوك، أو قد يصل لدرجة الموت في سبيله .
4. خطاب مشاعر الحميّة والنجدة والنُصرة للدين و (لأهل السنة مثلاً في العراق من قبل داعش) وأنه يدافع عن الشريعة وتطبيقها، ما يترابط مع تحفيز الواجب.
5. تأتي عملية استثارة (المأمول) أو المحلوم به أو ما هو في الحقيقة فيه الكثير من الكذب أو "الوهم" كخطوة لاحقة لما سبق، فأنت بقيامك بالواجب أكان بحده الأدنى أو الأقصى ستجد أمامك جنة الخلافة الأرضية (عبر الواقع الافتراضي في الشابكة (=الانترنت)، أو في داخل الحزب المغلق على المؤمنين، أو بالهجرة عن المجتمع، أو مؤخراً في دولة الخلافة بالموصل) كما تنظرك الحوريات ال 72 في الجنة إن قتلت في سبيل الخليفة أو الدعوة .
6. تقنية إبدالية الرموز: وهي تقنية مستخدمة من قبل التنظيمات الاسلاموية لغرض إحداث أثر كبير ووقع أكبر من خلالها، فالشعار والعيش فيه قد يحل محل الحقيقة ، كما أن إظهار الرموز والصور والتفخيمات والشارات وأحياناً

بعض الانجازات كأنها دلائل وبشائر النصر النهائي يعد تقنية ناجحة (انظر نظرية وعاء الآلهة) .

7. في الخطوة الأولى ب"الهز وتحفيز الآمال" يصبح المجتمع البديل جاهزاً في الصورة المرسومة عبر الإعلام والتسويق لأنه يظهر "الحزب مقابل المجتمع" بشكل كامل.

أما **الخطوة الثانية** في الآليات التسويقية للأحزاب هذه فهي التطويع التنظيمي، والتجهيز لتنفيذ الأوامر (يقول عمر التلمساني : كنت بين يدي الإمام حسن البنا كالميت بين يدي المغسل) ويتأتى ذلك عبر الإخضاع الكلي في أدبيات التنظيم عبر التشديد على الطاعة العمياء للأمير والبيعة له وللدعوة (وليس للإسلام-أنظر قسم الإخوان المسلمين كمثال) ثم القيام بتدجين هؤلاء عبر مخيمات أو معسكرات مغلقة لا تبقى في العقل أي مساحة يستطيع من خلالها أن يتنفس خارج مادة التسويق التي أزاحت ثم حلت مكان أي شيء آخر كليا.

ينتقل التنظيم **للخطوة الثالثة**: وهي "الاستخدام والتوظيف" الإرادي أو اللاإرادي، إلى الدرجة التي ينتخب فيها الشخص المستهدَف القائمة الطلابية (الإسلامية) حتى لو كان هو في سلوكه كما يعتقد لا يماثلهم فهو ينظف نفسه بمثل هذا الفعل الإبدالي، أو قد يتمادى غيره فينضم "للجنّة" في التنظيم، أو يفجّر نفسه ضد الكفار والمرتدين وأصحاب الأهواء ليستشهد في سبيل الله (ما هو نمط التطويع الذهني في دولة الحشاشين في التاريخ الإسلامي)

عُقدة العدد واستهداف الشباب

لا يمكن أن نفهم أن يتكاثر عدد المنتمين لتنظيم "الدولة الإسلامية" في العام 2015 إلى 30 ألفا (التقديرات الاستخبارية الامريكية، والسورية في المرصد السوري من 15- 20 -30 ألف) من المقاتلين، في حين أن كل المقاتلين "المجاهدين الأجانب" الذين دخلوا أفغانستان (1979 – 1989) من الخارج، لم يتجاوزا العشرة آلاف رغم الدعم والشرعية العربية والإسلامية، والدعم الدولي الذي صاحب تلك الحرب إلا بالقدرة على استخدام الآليات المذكورة، وفي ظل تفوق واضح من خلال وسائل التواصل الاجتماعي التي عمد من خلالها المؤثرون في الوعي من "الدعاة" الى إحداث الشرخ في فضاءات المستهدفين، وعملا دؤوبا لجسر الهوة بين الماضي (سيصبح المستقبل) المأمول والواقع المعاكس عبر هذا التنظيم أو ذاك ، ومن هنا استطاع تنظيم "الدولة الإسلامية" كنموذج صارخ في يوم واحد من عام 2014 أن يغرد على موقع "تويتر" للتواصل الاجتماعي على الشابكة (=انترنت) مالايقل عن 40 ألف تغريده ، بل وأن يشكل قاعدة استقطابه ممثلة بالشباب من سن 18 – 28 عاما وهم الأكثر التصاقا بوسائل التواصل الاجتماعي، بينما المقارنة مع الاستقطاب لأفغانستان أن أولئك "المجاهدين" الأجانب كانوا من سن 30 عاما فما فوق .

أدوات الاستقطاب

بلا شك كما ذكرنا أن (أدوات) الاستقطاب في التنظيمات الاسلاموية تبدأ بالمسجد ثم المؤسسة أو المجمع الإسلامي (مجمع قد يضم مسجد ومستوصف ومكتبة ومدرسة ما أمكنهم)، أومن خلايا المؤسسات والجمعيات الأهلية، وعبر اختراق الوزارات ومؤسسات الدولة عبر الدعوة للصلاة أو القيم كبداية للجذب، كما

يعتمدون على القيادات الإسلامية غير الحزبية المؤمنة أي ليست المنتمية لهم بالضرورة، ولكنها المؤيدة على قاعدة أن كله إسلامي.

تشكل أداة الاتصال الفردي والمباشر بين أعضاء هذه التنظيمات والآخرين عبر اللقاءات والجلسات أداة هامة داخل البلد أو باللقاءات المشتركة في أي مؤتمر أو لقاء منظم.

يقوم "العائدون" من مناطق سيطرة (الدولة الإسلامية) أيضا بتشكيل جدار حماية ودعاية واستقطاب في بلادهم للدولة (داعش)،(وفيما سبق قام العائدون من أفغانستان بنفس الدور، كما الحال مع الخارجين من مدارس السجون).

يمكننا أن نرى رابعا في عوامل الجذب المادية عاملا هاما كما تفعل "حماس" في قطاع غزة من فلسطين عبر إعطاء الأدوار أو إطلاق الألقاب والمسميات أو عبر توزيع المراكز والأموال والتزويج بسهولة.

في المقابل يتم استخدام شبكات التواصل الاجتماعي كأداة تسويق واستقطاب كما ذكرنا لا سيّما أن نشر الصورة الجاذبة عن أي تنظيم هو الهدف، وتشويه صورة الخصم (دعاية حماس على فضائياتها تصر على شيطنة الآخر كليا ونقاءها اللامع ، وداعش كمثال تظهر تيسيرات الزواج والحياة العادية في مناطقها مقابل جرائم الأسد والنظام العراقي وتشعل في الأذهان حتمية النصر (بتكرار الصور التي تظهر العظمة والقوة) لاحقا للجهاد لهزيمة الكفار) .

إن أهم **أهداف الدعاية والترويج أو التسويق للفكرة عامة** – ومنها في التنظيمات الاسلاموية تخصصا.

- إظهار المصداقية للأنصار أولا .
- جلب ثقة الجمهور واستقطابه ضمن فئات لا سيما بتكرار بث ما يعتقدونه مشاهد الانتصار والفتوحات أو الحياة العادية أو العيش بوئام داخل الحزب.

- إظهار القوة والقدرة على السيطرة عبر الأشرطة والمقاطع المرئية المختلفة لتدلل على أنها باقية ولا تنكسر(وفي الإخوان المسلمين تأتي آليات إظهار القوة من خلال الصمود في المحنة=السجن، ما هو ابتلاء من الله، وصولا للتمكين الحتمي) .
- استخدام رموز خاصة، ومقابلها هدم رموز قائمة (داعش حطمت تمثال المتنبي والمعري ...، وترفض العلم الفلسطيني)
- إظهار (فتوة) وشبابية التنظيم عبر صور الأطفال والمراهقين المدججين بالسلاح، أو القارئين الحافظين للقرآن، أو إظهار أن القائد الأول فتي (مثال البغدادي مقابل الظواهري)، أو عبر ناطقين إعلاميين شباب كما تفعل حماس وغيرها .
- إظهار دور النساء واستغلالهن (أنظر كتيب مهام الأخت في ساحة المعركة لداعش)

خاتمة

بعد أن استعرضنا الكثير من المفاهيم حول الاسلامويين وفكرهم ولم نعني – غالبا في السياق- بالاسلامويين حزبا محدداً أو تياراً بعينه في أحزاب وتيارات اليوم وانما عنينا (تيارا) فكريا هو ليس بالضرورة مؤطرا ضمن حزب ما بعينه ، وإن حصل وتم تأطير هذا التيار فإنه لا يُخرج العقل "الاسلاموي" عن صفته الأصيلة سواء انتمى للتيار غير المؤطر أو انتمى للحزب لا يخرجه عن صفته اللازبة التي

تعرفه بأنه (يخصّ) و(يُقصي) أو أنه يعتبر نفسه حارس حمى فسطاط الحق دون غيره أي (حصريا) وهذه (الحصرية) قد تكون في الفكرة التي يحملها وهنا يتقاطع مع المفكرن (المؤدلج) غير الاسلاموي أيضاً ، ونتيجة هذه الخصوصية والتميز والحصرية وما يتلوها من ولاء وبراء أن الآخر مُقصى ومستعلى عليه فهو من فسطاط الباطل فسطاط الشر فسطاط الكفر أو الدرجات التي تؤدي اليه من فسوق وفجور ورِدّة.

وان (تميّز) و(خصوصية) و(حصرية) الفكرة لدى الاسلاموي المفكرن (المؤدلج) (الكامل) تعنى أنه لا يرى الحق إلا في ركابه فقط وبناء عليه يرفض ويلفظ ويلعن ويقصي ويطرد المخالف من جنته لأنه لا يمتلك (الميزة) و(الخصوصية) والبراءة .

إن ادعاء امتلاك (الميزة) هو افتراض صحة الفكرة الناشئة عن النص وعدم قابليتها للتعديل والتطوير والتغيير (الإسلام على طريقتنا ، أو الإسلام على فهمنا نحن، ببساطة على مقاسنا فقط) وامتلاك (الميزة) يفترض الصلاحية الأبدية للتفسير أوالتأويل أو الفهم استطرادا من ألف عام حتى اليوم فتنشأ (القداسة) لتسقط على الأشخاص المميزين.

إن (الاسلامية)هي صفة كل مسلم مهما كان حجم اقترابه من الاسلام، أو رأيه السياسي ، أما "الاسلاموي" فهو الذي يمتلك حصرية الحق والصواب المطلق والايمان دون غيره ويمنعها عن الآخر.

من هنا جاءت النظرات هذه في محاولة منا نرجو من الله تعالى إن أصبنا الأجرين أو الأجر لتبيان سلامة الفكرة الأصل والدعوة أي الاسلام ببساطة وتوضيح الخلل ومكمنه في طرائق وأساليب النظر بالتأدلج او ضمن آليات المطلق والتنزيه وفيما أسميناه وعاء الآلهة ، والوهم المقدس حيث الاول هو الخامس وما بينهما من القداسة والشمولية والفكرة اليقينية وحاولنا تبيان فرق الخلاف الموقفي عن اليقيني وبعرض بضعة نماذج وتسويق الخطاب الاسلاموي وما الايمان او الاسلام بفهمنا الا أوسع من الضيق وأرحب من أن تحتويه قدح او إناء.

الفهم للإسلام غير قابل للاحتواء، في [فهم] أو تفسير أو مسار واحد كما أراده القطعيون الواهمون بقداسة او مطلقية فهمهم، وإلا لما كان [اختلاف أمتي رحمة] كما قال عليه السلام والاختلاف هنا في [الأفهام=جمع فهم] وليس العقائد والأصول.

جاء الإسلام الحنيف للعالمين، ولم يأت للمسلمين لوحدهم، فكان أن أصبح سيف السلطان لدى عديد التيارات اليوم بتّارا أكثر من (القيم والاخلاق) والإنسانية السامية التي تمدّد وانتشر لسببها الإسلام العظيم، حيث تنتشر الدعوة بالقلوب والعقول، وتتمدد الامبراطوريات بالحرب والقدرة العسكرية والاقتصادية، والفرق بين قوة الرسالة والإمبراطورية، هو فرق بين البندقية وزراعة الأشجار المثمرة.